بقعة في ذاكرة غير مضاءة

من يصمد ما بين البغض ،
وبين العشق الجارح يهلك فيه اثنين ،
وهذا الزمن الفظ ، تشرّخ فيه الوجه .
وصارت فيه العين ،
مصباحا للسهر الضائع ،
كان النهر ،
يؤالف بين الرمل وبين الصبية ،
يترك في رأسي ..
أغطية ..
وهوى ..
ويضائع للموتى ..
كان البرد ،
يحمل امطارا موحشة ،
يجلس بين العظم وبين الجلد ..

●

للصبية ايام مثل الفضه ،
وعصافير بلون السقف ،
وخوف ابيض قبل العيد ،
كني أهيىء ..
للشيخوخه : جسدا مائيا ،
للبرد الشاحب : وجها ،
« .. لابي رائحة الفرسان المهمومين ،
وله حزام اخضر ،
وفم رطب ... »

●

ان الصحراء مجرّحة ،
حين رأيت الريح ،
ترش عليها الصخر ..
الفتية ..
كنت الطفل القاتم ، يعلق جرح ،
في ذاكرتي ...
« وله نعش اخضر ،
واسم ينضح ماء ،
ولدي مخاوف منتفضه ،
منها ما يذهب للنوم ،
ومنها ما يمكث في اليقظه .. »

●

لم يفجأني الزمن الجارح ،
لثعابين البر مخابىء تحت الماء ،
ولها الصخر الساهر فوق الوجه ،
الصخر الساهر تحت القلب ،
« .. كان الماء ،
يشحب في ذاكرة الصيادين ،
يؤالف بين السمك الميت والصحراء .. »

بغداد — علي جعفر العلاق

النعمان الى النصر . لانه يعيش جو الهزيمة ، وكل ما حوله ينبىء بها . فكيف يمكنه ان يتخلص من التناقض الصارخ اذ هو رسم بطله الاثير في « فارس مدينة القنطرة » كما يرسم سائر ابطاله . ربما لاول مرة يدرك كاتبنا ما هو معنى الهزيمة.. ومع ذلك ظلت في وجدانه بقية من اصراره القديم فلم يتخلّ عن بطله ويدعه يسقط شهيدا في ساحة القتال . انما ترك امره غامضا يتردد بين عدة امكانات . كدليل على واقعنا المجهول ومستقبلنا الضبابي المقذوف والمطاح بين عشرات من الامتحانات قد اختلطت ببعضها حتى لكانها غدت كرة لزجة من ضربة بالية .

لقد وقعت في الوهم كما وقع غيري ، وصدقت للوهلة الاولى بان القصة هي حقا مخطوطة اندلسية ، وعانيت الكثير لكي اعرف مصدر ابيات الشعر . انها ليست من الجو الاندلسي على الاطلاق . فيها جذالة وفحولة الا ان اصطناعا ما يتبدى من خلالها .. وليس من شك في انها من نظم المؤلف نفسه ان الذي اجرى هذه القصة باعتبارها مخطوطة قديمة ليس من الصعب عليه — وهو شاعر له ديوان — ان يأتي ببضعة ابيات يقلد فيها الاسلوب الشعري القديم ، كما قلد الاسلوب النثري القديم .

ان القصة في الاصل ، عالم قائم بذاته ، لا علاقة له بالواقع، حتى ولو كانت القصة واقعية حتى الالتحام والارتطام . فهي شحنة نفسية مكثفة لا بد لها عندما تحز وتنضج في اعماق الذات من ان تجسد في الخارج ، وعلى هذا فالعالم القصصي هو غير العالم الواقعي . ان القاص يعيش دوما في عالمين ، ربما يتقاربان — في بعض الاحيان — حتى المساس ، الا انهما يبقيان كالخطين المتوازيين مهما امتدا لا يتلاقيان .. ان القاص يتنقل من عالم الى اخر .. بدون ان يعيشهما معا ، عالم القصة باحداثه وابطاله ، وعالم حياته اليومية التافهة او العظيمة .. وهو لا يملك سوى هذين العالمين . سواء كان قاصا واقعيا حادا او رومانسيا حالما او فنانا مؤرخا .

الا ان العجيلي ، كأديب موهوب تعود ان يخرق العادي والمألوف ... قد اوجد بقصته هذه ثلاثة عوالم بأن واحد عالم الانهيار الاندلسي بما يقارب الحقائق التاريخية ، وعالم الهزيمة على الجبهات .. ثم عالمه الذاتي الخاص النامي من خلال واقعه اليومي .

ان نجاح المؤلف في تصوير البيئة الاندلسية المنهارة من خلال التصاق تصوره بالارض الاندلسية المحبوبة حتى الوعي الجارف .. جعله يصدق ما خطت يداه ووجد نفسه ذائبا في الجو الاندلسي الشجي والاسبان فقد سمعت بانه عندما القى قصته هذه لاول مرة، وكانت طازجة قريبة العهد بوجدانه وتصوره حمل معه خارطة كبيرة لاسبانيا .. حتى اذا اعتلى المنصة قردها امامه واخذ يمرر سبابته عليها، مشيرا لمستمعيه الى المكان الذي تقع فيه هذه المدينة ..مدينةالقنطرة.

انور قصيباتي